من اغاني الحوالير

— ١ —

كان كالنخلـة .. ذا وجه مدور
وعلى صدغيه وشم لحمامـات وقبر
وعلى ظاهر كفيه رسوم لصبايا البحر تسكر
وابـي زيد ، وخيل تتأطر
لف اذنيـه بمنـديـل معفـر
ومضـى يشرح لليـل فنون الضحكات
علم القرية ان الضعف يمحوه من القلب
ارتشاف الضحكات الصافيات
على القريـة ان الهـم انثـى
يطفىء الضحـك صباهـا
علـم القرية ان الحزن ساعات تزول ،
غنوة باكية الاحرف يغتال طلوع الشمس
مـن احرفها السود صداهـا
كان كالنخلة .. ذا وجـه مـدور
حينما يمشي يحك النجم بالشعر المعفر
لف اذنيه ولف الشـال حول الكتفـين
ظله لم يك ذا وقع .. فلم نشعر به لحظة مات
دارت الشمس ولم تشعر به لحظة مـات
ظله لم يكن ذا وقع .. ولم يزحم طريق السائرين
وانتظرناه .. فلم نلمحه بـين العائدين
كان كالنخلة .. ذا وجه مدور
ذكره رقيـة احزان تـذود الليـل
عـن قلب الحيارى المتعبين ..

— ٢ —

وقف الموت على الشباك ساعات طويلـه
كان في هيئة صقر ضامر .. يسمع انفاسا ضئيله
يرقب الشيء الذي يضحك في نظـرة طفل
عاش اياما قليله
امه تشرب من انفاسـه عطر الطفولـه
اما تحتضن في حجرها ، تقرأ في عينيه
آيـات جميله
وتذود الموت عنه بالتسابيح الطويله
اطرقت ـ والنوم سلطان ـ فنامت لحظتين
اطرقت .. فانقض صقر الموت في غمضة عين
ينهش الطفـل ، يعري صدره ، يأكل صدره
طار .. في منقاره قلب صغير
وبقايا مـن دم تسقط اثـره
وافاقـت امـه تسـأل :
ما للثدي قد اصبـح صخـرة
تثقـل الصـدر .. اما للطفل قطره ؟!!

ـ ٣ ـ

مر في الليل غريب يسأل الرفد
فعضته الكلاب
طرق الابواب .. لم يفتح له في الليل باب
سمع الناس بجوف الدور كالارض الخراب
يتباكون ، يصلون ، يشقون الثياب
خوف ان تنهد اسوار المدينة
خوف ان يكشف نور الصبح اسرار العفونه
وتمطى الحارس الاعمى ونادى : من هناك ؟!
ـ : طارق يمرق عبر الليل
ـ : ماذا قد رماك ؟!
ـ : حكمة ارغب في نشر لواها
ـ : من يدي خذها .. ايا صوت الجريمه
مات في الليل غريب يسأل الرفد
ولم يفتح له في الليل باب

ـ ٤ ـ

بائع المرمر والتفاح نادى :
هذه الناهد رباها سلاطين العجم
لم تزل بكرا ، انا اكره بيع الثيبات
وردها طفل وبلور ودم
مد عينيه الى البلور سلطان هرم
اشعل الشهوة في الثلج انكسار النظرات
وهب البائع كيسين ... اشتراها
ومضى يهرش آثارا قديمه
كان عبدا .. صار سلطانا ينادى باسمه فوق المنابر
باسمه تهدم او تبنى مدينه
كان عبدا .. اثر النخاس بين الكتفين
كان عبدا .. اثر النخاس بين الفخذين !!

ـ ٥ ـ

كان فوق الصفحة الصفراء نقش كاد يمحى
احرف سود حواليها اطار
كانت الاحرف من نبش ابي وهو صغير
حينما « جاور » في الازهر اياما قليله
كانت الاحرف : « يا دنيا الرذيله
سعينا في الارض لا يجدي
وايام قتيله
سعينا احلام شيطان ، ويأس ، وضلاله »
كان فوق المنكب العاري صليبي
كان جرح في يدي يلعق جرحا
وحبيبي لم يعد بعد حبيبي

سرت مكسورا الصبا ، اقرأ في الليل كتابي
وعرفت الموت في شرخ شبابي
وعرفت الجوع والسم وايام الضياع
وعرفت السهد في الغربة ، والجرح الذي آكل منه
كانت الابواب صماء .. ولكني اتيت
بعد اعوام الى منزلنا الصامت جئت
ووجدت الاحرف السوداء تخبو في الاطار
وعلى هامشها الاصغر بالدم كتبت :
حكمة الريح تهاويها على الارض البراح
حكمة الانسان ان يبحث عن حكمته ليل صباح
حكمة الانسان ان يحفر قبل الموت قبره . .

ـ ٦ ـ

عامك السابع يا ايوب جاء
لم يعد فوق العظام الزرق لحم
كفك الميت ما عاد يضم
بابك المغلق ، والزوار اطياف تمر
عامك السابع آلام ومر
مرقد الشوك ، سويعات من الموت ، وجمر
سقط اللحم ومات الدود يا ايوب جوعا
حينما غبت سويعات بدنياك الجميله
غائم العين ترى في الافق آيات المطر
تسمع الريح تغني في ذؤابات الشجر
وترى ملعب اطفال لهم في الصدر وقع
لم تزل تحمل في قلبك صوفية اطفال صغار
لم تزل تحمل خصب الارض ، حلم الاخضرار
وصفاء الروح والحب واشواق العصافير السجينه
عامك السابع يا ايوب فات
شرب الموت به كأس الهزيمه
فاغتسل في النبع يا ايوب .. واضحك من جديد ..

ـ ٧ ـ

يا ليالينا .. ايا غنوة شادوف نحيل
شرب الحياة حكارة .. لم يلعن الساقي البخيل
عشناك غيما ، انجما تخبو ، واقمارا يرنحها الافول
اقمارك السوداء القت ظلها فوق القباب
رسمت ظلال مآذن فوق التراب
رسمت ظلال هياكل فوق الوحول
اقمارك السوداء قد جعلت من الدور الحزينة اقبيه
اقمارك السوداء قد رسمت ظلال بلادنا
فوق التراب مشوهه ..

القاهرة

محمد عفيفي مطر